المنظومة
ALMANDUMAH

العنوان: ابن حزم والحب العذري
المصدر: دراسات أندلسية
الناشر: جمعة شيحة
المؤلف الرئيسي: آريي، راشال
مؤلفين آخرين: القاضي، محمد(مترجم)
المجلد/العدد: ع 1
محكمة: نعم
التاريخ الميلادي: 1988
الشهر: ديسمبر / جمادى الأولى
الصفحات: 40 - 63
رقم MD: 511357
نوع المحتوى: بحوث ومقالات
قواعد المعلومات: HumanIndex
مواضيع: النقد الأدبي ، الشعر العربي ، الوقوف على الأطلال ، الشعراء العرب ، ابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد ، ت 456 هـ، الإنتاج الفكري ، النوادر العربية ، الأهاجي و الفكاهات العربية ، الحب في الشعر العربي
رابط: http://search.mandumah.com/Record/511357

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

آريي، راشال، و القاضي، محمد. (1988). ابن حزم والحب العذري.دراسات أندلسية، ع 1، 40 - 63. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/511357

إسلوب MLA

آريي، راشال، و محمد القاضي. "ابن حزم والحب العذري."دراسات أندلسيةع 1 (1988): 40 - 63. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/511357

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

ابن حزم والحبّ العذري ★

راشال آريي
تعريب : محمّد القاضي

خُصّ « ابن حزم » القرطبي مفكّر الإسلام الأندلسيّ الكبيرُ بدراسات كثيرة كشفت النّقاب عن صروف حياته المتقلّبة في القرن 5 هـ/11م في أكثر عهود الأندلس مأسوية ، كما أبانت عن الجوانب المتنوّعة في آثاره بوصفه عالما نفسانيّا ومهذّباللأخلاق ومنظّرا لغويّا وفقيها ظاهريّا ومؤرّخا للأفكار الدّينية(1) .

ولقد وصلنا من مؤلّفات « ابن حزم » حوالي اثني عشر كتابا ، أعلقها بالنّفس « طوق الحمامة في الألفة والآلاف » الذي وضعه في شبابه . وقد عمد « ابن حزم » في كتابه هذا — وهو دراسة حقيقيّة للحبّ والمحبّين — إلى بيان مفهومه للحبّ . ولا شكّ في أن هذا الموضوع لم يكن مستحدثا في الأدب العربي . فقبل تأليف « طوق الحمامة » بأكثر من قرن وضع « الجاحظ » في الشّرق العبّاسي رسالة صغيرة في الحبّ والنّساء وَسَمَها بـ « في العشق والنّساء » . وفي القرن 10/4 م نجد الموضوع نفسه في إحدى رسائل « إخوان الصّفاء » . وفي العصر ذاته أو يكاد تحدّث « المسعودي » أيضا عن الحبّ في «مروج الذّهب » . إلّا أنّ « ابن حزم » استطاع أن يُجريَ إجراءً طريفا مصطلح الحبّ هذا فضمّنه عناصرَ سِيرَة ذاتيّة مطبوعةً بطابع الصّدق . فالكاتب يحدّثنا في هذا المؤلّف عماّ عاشه وأحسّه في أعماق نفسه . وفي كتاب الاعترافات هذا نجد أنّ الشّخصيّات التي تحوم حول

(★) * Rachel ARIÉ : Ibn Ḥazm et l'amour courtois. Revue de l'Occident Musulman et Méditerranée. N° 40.2e semestre 1985. pp 75-89
والمقصود بالحب العذري هنا المفهوم الذي شاع أمره عند التروبادور في ق 12/6 مو 13/7 م والذي يمجدّ المرأة ويبوّئها منزلة عليا .

(1) عن أبي محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم بقرطبة سنة 384 هـ/994 م. والمتوفى بمنت لشم سنة 456 هـ/1064 م . آنظر المقال الهام ل.ر. آرنالديز: دائرة المعارف الإسلاميّة . الطبعة الجديدة ، ج III ص ص 814 — 822 .

« ابن حزم » إنّما هي أندلسيّة عرفها الرّجل وعاشرها : من أمراء ووزراء وعلماء وطلّاب علم ، روى لنا « ابن حزم » قصص حبّهم المتنوّعة . ونكاد نلمس في كلّ صفحة من نثره المرصّع بشعر واضح مطبوع الحقيقة النّفسانيّة ودقّة الملاحظة ورهافة التأمّل . ولمّا كان « ابن حزم » متمسّكا بسنن « الأدب » فقد سعى إلى الجمع بين تهذيب القارىء وتسليته . وإذا كان عَرْضُ الأفكار مجرّدا ، تَولّت النّوادر الإبانة عنه ؛ وهي تمتزج والشواهد القرآنية والأحاديث النّبويّة التي تزخر بها ثقافة الرجل الواسعة .

لقد قام « د. ك . بيتروف» (D.K. Pétrof) بتحقيق نصّ « طوق الحمامة » ونشره سنة 1914 بليدن . ثم ظهرت ترجمات له عديدة إلى لغات أوروبيّة من سنة 1931 إلى سنة 1952[2]. وقد حدّد « ليون بيرشي » (Léon Bercher) الذي ترجم « الطّوق » إلى الفرنسيّة سنة 1949 المخطّط العامّ للكتاب على هذا النحو : (أنظر التمهيد ص 13) : « إنّما وضع ابنُ حزم هذه الرّسالة الصغيرة في الحب ، والأحوال التي ينشأ فيها ، والآفات التي تعرُض له ، والسّلوك الذي يفرضه على المحبّين ، بطلب من صديق له من ألمِريّة جاء يزوره في بيته بشاطبة (مقاطعة بلنسية)» . وبُعَيْد ذلك نبّه « إيفاريست ليفي بروفنسال » (Evariste Lévi-Provençal) (1950، ص ص 335–375) عند مراجعته لـ «طوق الحمامة» إلى ما يضمّه الكتاب من تفاصيل تتعلّق بالحضارة القرطبية في آخر أيام الخلافة الأمويّة . وقد أشار — بما عُرِفَ عنه من نفاذ بصيرة — إلى أنّ هذا الكتيّب المؤلّف سنة 1022/412 « يبسط من خلال صفحاته نظريّة في المثاليّة الغرَاميّة » تلائم تمام الملاءمة تلك النظريّة التي يمكن أن نستخرجها من الدراسة المقارنة لبعض [الشعراء] التروبادور في جنوب فرنسا.وهم الذين ازدهر شعرهم الغنائي من مطلع القرن 12/6 م إلى نهاية القرن 13/7 م (إ. ليفي بروفنسال 1948، ص 293) .

والحقّ أن ما ضمّه « الطوق » من مفهوم للحبّ سامٍ قد بدأ في الظهور منذ القرن 11/5 م عند عدد لا بأس به من الشّعراء الأندلسيين . وبُعَيْدَ ذلك ومن الجهة الأخرى لجبال البرانس شرع التّروبادور — وهم شعراء وموسيقيون معًا — في التّغنّي بالحبّ العذري ، وهو صداقة عشقيّة ، وعبوديّة تلقائية للمرأة . إنّ تنظيم المقاطع الشعريّة ، والحبّ المثاليّ والحبّ الشهواني عناصر موجودة في القرون الوسطى المتأخّرة في الحبّ الأندلسي والحبّ الأوكسيتاني . ولن يفوتنا أن نذكّر بأنّ الحملات الفرنسيّة على إسبانيا كثيرا ما اعتبرت مناسبة لتبادل مثمر

---

(2) الترجمات الإنقليزية لـ.أ.ر. نيكل ، باريس 1931 ، أ.ج. آربري ، لندن 1953 ، الروسية لـ.أ. سال ، موسكو ، لينينغراد 1933 ، الألمانية لـ.م. فايسيلر، ليدن 1941 ، الإيطالية ل.ف. غابريلّي ، باري 1949 ، الإسبانية لـ.إ. قارثيا قومز ، مدريد 1952 .

وتمازج ثقافي : فمنذ أواخر القرن 11/5 م أقام في ما وراء جبال البرانس عدد من الأسياد الأكيتانيّين ، وضمن حاشيتهم عدد من التّروبادور . ولذا فإنّنا لا نملك دحض البراهين التي جمعها أصحاب الأطروحة القائلة بوجود تأثير أندلسي في التروبادور . أما المختصون في دراسة القرون الوسطى فإنّهم لم يقبلوا بتلك البراهين لتمسّكهم بالأمل اللّاتيني للشّعر الأوكسيتاني . وليس من غرضنا أن نثير في هذا المقام تلك المسألة التي كثيرا ما وقع الخوض فيها ، والمتّصلة بالعلاقات التي قد تكون وُجدت بَيْنَ الشّعر الغنائيّ العربي والشّعر الغنائيّ البرفنسي[3] .

وليس لنا من غاية إلّا إقامة توازن بين المثل الأعلى الأندلسي كما يظهر في « طوق الحمامة» وبين الحب الأوكسيتاني . ولنذكر بادىء ذي بدء لِمَامًا أشهر ممثلّي الشّعر التّروبادوري : تمثّل المرحلةَ الأولى أغاني سيّد عظيم هو قيوم « قيوم IX» كونت بواتيي ودوق أكيتان ، وقد ولد سنة 1071/463 ومات سنة 1127/521.وتمتزج في أغانيه نغمة شهوانية بالتبعية العشقية التي ارتضاها الرجل عن طواعية .

وبين سنتي 1130/525 و 1150/545 تأتي مرحلة ثانية وسَمَهَا بمَيْسمه كلٌّ من الشاعر الجوّال القاسكوني «سيركامون» (Cercamon)، والمغنّي المرتزق القاسكوني «ماركابرو»(Maracabrou) وسيّد بلاي «جوفري رودل» (Jaufré Rudel). ونلمس عند هؤلاء الشعراء تطلّعا واحدا عميقا صادقا إلى العذرية. وقد اكتمل مذهب الحبّ العذري خلال مرحلة ثالثة امتدت من سنة 545 هـ /1150 إلى سنة 1250/648 تقريبا ، وهي المرحلة المتراوحة بين جيل «برناردي فونتادور» (Bernard de Ventadour) الذي يجسّم الأنموذج الكامل للتروبادور وجيل « أوك دي سان سيرك»[4] (Uc de Saint-Circ) .

---

(3) في هذه المسألة مراجع كثيرة ، لنكتف بذكر أ.ر. نيكل (1946) ، والتدقيق الممتاز الذي قام به أ. ليفي بروفنسال في :
Poésie arabe d'Espagne et poésie d'Europe médievale, dans Islam d'Occident , Paris 1948 , p.p. 283-304
التي يحسن أن تكمّل بقراءة P. le Gentil (1954) انظر أيضا مقال R. Lemay (1966).

(4) لقد استفدنا من المراجع الكلاسيكية لـ A. Jeanroy (1927—1934) ومن التحقيقات المذكورة في قائمة المراجع . انظر الأعداد الخاصة من Cahiers du Sud (1943—1947) والكتاب المهم لـ R. Nelli (1963). ويمكن الاستفادة من أطروحة دوكتورا M. Lazar (1964) ومن طبعتها (1966) . انظر ايضا مختارات G. Ribémont - Dessaignes (1946).

تعريف الحبّ عند ابن حزم وعند التّروبادور .

بعد أن نزّلنا بإيجاز « ابن حزم » والتروبادور كُلًّا في عصره سنحاول أن نورد تعريفا للحبّ كما ظهر في ما كتبوا .

لقد اهتم « ابن حزم » ببيان أنّ الحبّ « ليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة ، إذ القلوب بيد الله عزّ وجلّ » (الطوق ص 13)(5) . واستشهد بمن كان عاشقا من الخلفاء الأمويين بالأندلس. وقد وصف الحبّ شعرا فقال :

جرى الحب منّي مجرى النّفس وأعطيت عيني عنان الفرس

لقد أفاض النّاس في الحديث عن الحبّ إذ أنهم لم يتفقوا في طبيعته . أما ابن حزم فيقول : « والذي أذهب إليه أنه اتصال بين أجزاء النّفوس المقسومة في أصل عنصرها الرفيع» . ويستطرد قائلا إن الحبّ «شيء في ذات النفس» ؛ فصحّ بذلك أن الحبّ « استحسان روحاني وامتزاج نفساني » (م. ن. ص ص 15–16، ص 21). ويفسّر هذا الحبّ الذي يستولي على النفوس بما بين الأرواح من تناسب في القوى . إن الاندفاع التلقائي إلى الأسمى يطبع الحبّ عند « ابن حزم » بطابع أفلاطوني . ونتبين في ذلك أثر «مأدبة» أفلاطون .

أما عِنْدَ التّروبادور فالحّب العذري انجذابٌ غرامي ينزع إلى المماثلة بين نفسين شريفتين والتّوحيد بينهما . وقد رأى بعض الدارسين في هذا الحبّ ضربا من تصعيد الاندفاع الأوّلي وروحنته (هـ. دافنسون ، 1961، ص 147) . وبدءا من سنة 1150/545 أخذ التروبادور يلحوّن على طبيعة الحبّ الروحانية الصرف. ولئن كانت الشهوة منفلتة من عقالها فإنّ الحب العذري ينصاع لقواعد معينة . ولكي تتحقّق العذرية (la cortezia) تحقّقا تامّا فإنها تقتضي من الإنسان أن يلتزم سنّة معلومة بأن يبدي « اعتدالا» (mesura)، أي نمط تصرّف وآداب سلوك هي واجب إجتماعي مهمّ . وعلى الإنسان أيضا أن يراعي متطلبات الفتوّة (Jovens) وهي جملة من الخصال الأخلاقية والمروءة والكرم (م. لا زار ، 1964،ص ص 27، 28، 30، 33) .

ويرى « ابن حزم » أنّ الحب ينجرّ عنه تحوّل ، فهو « يزيّن للمرء ما كان يأنف منه ، ويسهل عليه ما كان يصعب عنده ، حتى يحيل الطبائع المركبّة والجبلّة المخلوقة » (الطوق، ص 29) .

---

(5) اعتمدنا في إحالاتنا على « طوق الحمامة » في تحقيق ل. برشي وترجمته.

والحبّ عند التّروبادور يرقّق الطبع فـ «قيوم IX» في سن الثالثة والأربعين حين شغف حبّا بسيدة «شاتيلّيرو» تجنّب ما هو مبتذل ؛ وأصبح الدون جوان الوقح رجلا فاضلا :

«فَرِحٌ حقّا فرحَ حبٌّ .
وطالِبٌ للمزيد
وبما أنّي أنشد الفرح الكامل
فإنّي موجّه كلّ جهودي
إلى أكمل النّساء
وأجمل من يُرى ويُسمع»

(ج . ريبيمون ــ ديساني ، التروبادور ، 1946، ص 44)

وينشد «برناردي فونتادور» :

«إنّ من يعشق ولا يغدو خيّرا البتة ، له على وجه اليقين قلب شرّير شقيّ » (أغاني الحبّ . طـ لازار ، 1966 ، الأغنية 6، البيتان 17–18) .

وللحبّ على العشاق في نظر « ابن حزم » حكم ماض . إنه « داء عياء ، وسقام مستلذّ ، وعلّة مشتَهاة لا يودّ سليمها البرء ولا يتمنى عليلهاالإفاقة» (الطوق ، ص 29) .

وقد التقى «ابن حزم» بفتى من بعض معارفه هو بمثابة السقيم الذي لا يريد فَقْدَ سقمه لشدة ما « وحل في الحبّ وتورّط في حبائله» (م.ن ، ص 17) ، ويرى « برناردي فونتادور» أن الحبّ سجن . (أغاني الحب، 1، البيت 22؛ 36 ، البيت 51؛ 37، البيت 45) .

ويعتبر « ابن حزم » والتروبادور أنّ الشهوة نار مهلكة. وقد شبّه المفكّر القرطبي العاشق بفراشة أحرقتها النّار (الطوق ص 35).ويؤكد « برناردي فونتادور» أنّه يعاني من الآلام بقدر ما يعاني « مَنْ يحتضر وسط النّيران» (أغاني الحب، 12، البيت 65) . إن الهوى يملك النفس من أقطارها، ويُترِع الفؤاد غمّا ، إلّا أنّ عذاب الحبّ عذب المذاق . ويفسّر «ابن حزم» هذا الجانب السلبي للحبّ في إطار تعريفه . فلا يكون المرء تعيسا في حبّه إلا إذا كانت روح المحبوب في شغل شاغل عن نداء نصفها الآخر لأنها مكتنفة الجهات ببعض الأعراض الساترة (الطوق ص 21).وليس لـ « جوفري رودل» من رغبة « سوى هذا الحب النائي » الذي يملك عليه نفسه . ويُنشِد « سير كامون » ذلك الحب الذي أوقعه في شراكه . ولم يعطه إلا «النّكال والغمّ» : وهو يرى أنْ

« لا شيء أغلى
من حبيبي الوحيد
ولا شيء يثير فيّ الأمل
غير ما لم أستطع الحصول عليه»

(في . ج . ريبيمون ـــ ديساني ص ص 54 و58) .

إن الانتظار يغيظ التروبادور ويدفعه إلى أن يبدع ويكون طاهرا . إنّ روعة أغاني «برناردي فونتادور» ناشئة عن الأسى الذي استولى عليه نتيجة لقساوة السيّدة التي تعذبه . إن الحبّ المكبوت يدفعه إلى البحث عن المثل الأعلى .

المرأة والعاشق والغير .

ثمة في الحب العذري ثالوث لا بدّ منه : المرأة والعاشق والغير. كان معيار الجمال الأنثوي في شعر الشرق الإسلامي وفي شعر الأندلس متمثّلا في السّمراء ذات الشعر الفاحم الأثيث . وفي القرن الحادي عشر تغزّل الأندلسيون المسلمون في أشعارهم بالمرأة الغيداء القصيرة الشعر(6) .

أما « ابن حزم » فقد كان شغوفا أيما شغف بالشقراوات :
«إني أَحْبَبْتُ في صباي جارية لي شقراء الشعر، فما استحسنت من ذلك الوقت سوداء الشعر، ولو أنّه على الشمس ، أو على صورة الحسن نفسه»
(الطوق ص ص 72–73 إحالة غير مضبوطة في المقال) .

وقد ذكر بعد ذلك إيثارَ الخلفاء الأمويين بقرطبة للشّقراوات ، وأضاف أن المرأة الجيداء لم تكن تقدَّم دائما على ذات الجيد العادي ، وإنما الأمر مُرْتهن بالذّوق الشخصي . وقلّما نجد عند « ابن حزم » حديثا عن أعضاء المرأة . ويظل وصفه العام لمحبوبته تقليديّا صرفا حين يرى في ضوء القمر انعكاسا لبهائها . وهو يُعجب ببياض البشرة وبالخِيلان وبالنّمش الذي يزين الوجه ، وبمشية المحبوبة المتمايلة وبقدّها المهتزّ كالغصن (الطوق ص 73–77، 109، 154–155) . إنّ المحبوبة حازت الفضائل كلها، وهذا ما نستنتجه من قصة وقعت له شخصيّا، فقد شغف حبّا بجارية فتية في السّادسة عشرة من عمرها كبرت في بيت أبيه وظل يذكر أنّها:

« غاية في حسن وجهها وعقلها وعفافها وطَهارتها وخفرها ودماثتها عديمة الهزل منيعة البذل ، بديعة البشر مسبلة السّتر ، فقيدة الذام قليلة الكلام ، مغضوضة البصر شديدة الحذر ، نقية من العيوب دائمة القطوب ، حلوة الأعراض مطبوعة الانقباض ، مليحة الصدود » (م.ن.ص 283) .

---

(6) في المثل الأعلى للمرأة في الشّعر الشرقي في الجاهلية انظر J.Cl.Vadet 1968 ص 43. وفي مقياس جمال المرأة في الأندلس انظر H. Pérès 1953 ص.ص. 372 و400.

إنّ الصّفات التي درج التروبادور على استعمالها تضفي على المرأة المحبوبة شيئا من الألق . فـ «قيوم IX» يتغزل بامرأة « أشدّ بياضا من العاج» . ويتغنى شاعر مغمور بجسد حبيبته « الأبيض كزنبقة ثلجية» « غريض لونها كوردة أيار . أشقر كالذهب شعرها الرائق» (التروبادور ص 36) . ومع ذلك يظل وصف الجمال الأنثوي مبهما وتقليديّا صرفا؛ والشعراء الغنائيون الأوكسيتانيون إنما يتغزّلون بنحافة القدّ ، وبهاء البشرة البيضاء كالثلج ، القرمزية كالوردة ، ورقّة الحواجب ، وبياض الأسنان ، وتناسب أقسام الوجه تناسبا لطيفا . وهم لا يشيرون البتة إلى لون العيون ، ولا إلى ما تُبين عنه هيئة الوجه . إن المرأة المحبوبة عند التّروبادور هي أكمل مخلوقات الله ؛ ويعتبرها « برناردي فونتادور » فوق نساء الدنيا جميعا (أغاني الحب ، 3 الأبيات 53،55؛6، الأبيات 21–24).ويمتنع التروبادور عن الفصل بين خصال المرأة المعنوية وصفاتها الجسدية. إنها امرأة عظيمة بمآلها من نَسب تليد ، وهي رقيقة رشيقة فطنة . وهي تحسن الجمع بين « الأحاديث العذبة » و « الأعمال الحميدة » . ويتصوّر التروبادور جمال المرأة موسوما بالرّقة والذكاء . إن محبوبة التروبادور تملك صفات أكمل النساء في الدنيا .

وعلى هذا النحو يحدّد « ابن حزم » سلوك العاشق : يشيح العاشق جهرا عن كل الحاضرين سوى محبوبه . ويبلغ به الأمر أن يحبّ أهل المحبوبة وقرابتها وخاصتها حتى يكونوا أحظى لديه من أهله ومن جميع خاصّته (الطوق ص 45) .

ويرى « قيوم IX» أنّه من الواجب على العاشق أن يحترم كل من يقيم مع محبوبته . ويعتبر « برناردي فونتادور » أنّه على العاشق أن يكون بشوشا حتى مع المنافس أو العدو . إن المحبّ يبدي للمرأة توقيرا كبيرا . فـ «أرنو دانيال»(7) (Arnaut Daniel) يقول : « إنني أكرّم ألطف إمرأة في الدنيا» . والحب يبعث في قلب العاشق كل الفضائل . وعلى العاشق الكامل أن يُعرض عن كل صنيع من شأنه ألّا يروق المرأة . وتتدرّج واجباته من مجرّد الاحترام من باب المجاملة إلى تقديم البراهين على تفانيه في الوله. ويشترط التروبادور على العاشق أن يمسك زمام عواطفه وغرائزه طبقا لسنن الحب العذري . ويحتاج المرء إلى بذل جهد كبير حتى يصبح عاشقا كاملا . فلا يغدو جديرا بهذه التسمية إلا من تخلص من كل غرور ذكري . وعلى العاشق أن يسعى إلى أن يفتن المرأة بشدوه حتى يكون موضع إعجابها . ويصرّح «برناردي فونتادور» إنه متدلّه في حب المرأة، وهو ملك لها قلبا وقالبا ، وهو يبتهل إليها ويعبدها كما لو كانت إلَـٰها . ويستطرد قائلا :

---

(7) انظر R. Levaud ، 1910 ص 300.

«إنّني مدين لمعشوقتي بقيمتي وبروحي معا ؛ ومن فضلها مرحي اللذيذُ وعاداتي الطيّبة . فلو لم أرها لما أَحْبَبْتُ ولما سعيت البتة إلى أن أحظى بالإعجاب» .

وربما شكا العاشق أمر الحبيبة إذا ما أصابته بخيبة أمل كبيرة . وقد عبّر «قيوم IX» في أناشيده الأولى عن أسفه لغدر النساء. وقد حدث لـ«برنار دي فونتا دور» انقلاب مفاجىء: فقد خاب أمله ،ومن ثمة أصبح سعيدا بفراق حبيبته واتهم النّساء كلهن بالتقلّب (أغاني الحب، 17، الأبيات 21–23 ؛ 31 ، البيتان 33–34) .

وتتحرّك على ركح الحب العذري شخصيات ثانوية قليلة الأهميّة.

فالصديق المساعد حسب « ابن حزم » صديق مخلص لطيف القول مأمون الخيانة كريم النفس مبذول النصيحة . « ولن يفقد الإنسان من صاحب هذه الصفة عونا جميلا» (الطوق ص ص 110–121). وربما كان الصديق الوفيّ عاذلا في الوقت نفسه. والعاذل صديق قد أسقطت مؤونة التحفظ بينك وبينه، فعذله أفضل من كثير من المساعدات . ولكنه خطب شديد أن يكون العاذل زاجرا لا يفيق أبدا من الملامة (م.ن. ص ص120–121) . ويصوّر «قيرو دي بورناي» (Guiraut de Borneil) عند مطلع الفجر المثال الكامل للصديق الذي يسلخ اللّيل يرعى الشاعر ومحبوبته (التروبادور . ص 111). إنّ المرء ليشعر بالارتياح إذ يستطيع أن يبوح له بسعادته . إلا أن الصّديق الذي تُطْلعه أكثر على أسرارك ، غالبا ما يتّضح أنه مهذار . ولذلك فبعد أن نصح « قيرو» العاشقَ باتخاذ صديق يأتمنه على أسراره توقّع المخاطر المنجرّة عن هذا الوضع، وانتهى به الأمر إلى القول بأنه إن وُجِد ثلاثة « رفاق» كان أحدهم عادة « زائدا عن الحاجة» . وإذا حلّت الثقة بين العاشقين وقع إدخال «السّفير» الذي خصّه « ابن حزم » بفصل قصير (الطوق . ص ص 88–91) . وينبغي أن يتخيّر العاشقُ السفيرَ بشيء كثير من العناية، وأن يرتاده من بين أكثر الناس حذقا . وينصح « ابن حزم » العاشق بأن يعهد بآداء الرسالة إلى إنسان حافظ للأسرار وفيّ للعهد قَنوع ناصح . ومن لم يتحلّ بهذه الصّفات كان ذا ضرر على باعثه . وقد كان المحبّون في قرطبة يستعملون في هذه المهمّة النساءَ ذواتَ الصناعة التي تقرّبهن من الناس : كالطبيبة والحجامة والدلّالة والماشطة والنائحة والمغنية والكاهنة والصّنّاع في المغزل والنسيج (م.ن. ص 89–91) .

وينتظر التروبادور السّفير بنفاد صبر . وهذا «برناردي فونتادور» يكتب:

« أيها السّفير رح عدْوًا
وحدِّثْ أجمل النساء
عن الحزن المرير والعذاب
اللّذين أقاسيهما حتى الموت» (التروبادور ، ص 95) .

وغالبا ما يكلّف السفير بنقل تذكار من المحبوبة إلى العاشق. ودونك هذا النشيد لشاعر غمر:

«أيها السّفير الناهض صبحا
اِطْوِ المراحل
هذه أغنية لصديقي
فاحملها إلى بلده » (م.ن. ص ص 37–38)

إنّ المؤتمن على الأسرار يمكن أن يكون سفيرا ؛ وهو في هذه الحالة ممثّل العاشق والذائد عنه في غيابه .

وكثيرا ما تحدّث الشعراء في الأندلس في القرن الحادي عشر عن شخص يضطلع في الجو العذري بدور من يعكّر الصفو ؛ إنه الرقيب (هـ . بيريس ، 1953،ص ص 418–419). ويكون الحائل بين المتحابين تارة مالكُ المغنية وطورا الزوج الغيور. وحسب «ابن حزم» قد يكون الرّقيب راغبا في استبانة حقيقة الأمر لا أكثر ، أو منافسا أو مأجورا. ويرى «ابن حزم» أنّ الرّقيب من آفات الحبّ . وهو يروي عدة مرات طرق التّلطف في استرضاء الرّقيب . وفي الختام يحذّر « ابن حزم » القارىء من الفراق الذي ينشأ عن حضور الرقيب . وكثيرا ما يظهر في الشّعر الغنائي الأوكسيتاني الرّقيب (gardador) في صورة المستأجَر من قِبل المنافس أو الزوج .

إنّ الشخص الذي يضطلع بالدّور الأكثر أهمية في الحبّ هو الواشي. وغايةُ هذا النمّام القطعُ بين المتحابّين بالحيلة (الطوق ص ص 134–139). وقد أدان مغنّي الحبّ «ابن زيدون» القرطبي ــ وهو معاصر لـ«ابن حزم»ــ في شعره قبح صنع الواشي (ذكره هـ. بيريس، 1953، ص 420). ويميّز « ابن حزم» بين ضربين من الوشاة . فالضرب الأوّل واش يريد القطع بيني المتحابين فقط . وأكثر ما يكون الواشي فإلى المحبوب . وليس له من غاية من عمله الشّنيع إلّا الإضرار بالعاشق . وطورا يذكر الواشي للمحبوب أنّ ما يظهره المحبّ له من المحبّة ليست بصحيحة، وطورا ينقل الواشي أنّ هوى العاشق مشترك ، « وهذه النّار المحرقة » على حدّ قول « ابن حزم».وأمّا الضّرب الثّاني من الوشاة فلا مبتغي له إلّا السعي للقطع بين المحبّين لينفرد بالمحبوب ويستأثر به ،ولا بدّ للنمّام من الكذب . وما أحبّ «ابن حزم» كذّابًا قط . وهو يستهجن الوشاية مدعمّا أقواله بأحاديث الرّسول (الطوق . ص ص 140–147) .

وفي الحبّ الأوكسيتاني أخذ الوشاة منذ سنة 1150/545 يضطلعون بدور مهمّ في الأوساط العذرية؛ فلا همّ لهم إلا إفشاء أمر الحب الذي يهفو أصحابه إلى الكتمان المطلق ، ومن ثمة كان الوشاة يرومون القضاء على هذا الحب . ونجد هؤلاء الوشاة (lauzengiers) في مؤلفات «جوفري رودل» وفي أناشيد «سير كامون» وأناشيد «برنار مارتي» (Bernart Marti) الذي يبوح إلى محبوبته بقوله : « لكم أريد أن ينجح مسعاي إليك ، قبل أن يحطّم حبّنا الحسّادُ والوشاة » . وتتحدّث نصوص كثيرة في حبّ التروبادور القدامى بين سنتي 1150/545 و 1250/648 تقريبا عن هؤلاء الوشاة وهم في أغلب الأحوال منافسون حساد (أ. جانروا A. Jeanroy، 1934، ج II، ص ص 109–112؛ ور. نيلّي R.Nelli، 1963 ، ص 129) . ولمّا كان هؤلاء الوشاة لا يخفون كرههم لسعادة الغير التي لا يطيقونها ، فإنهم يحولون بين العشاق وبين أن يتحابوا ، دون أن يسكبوا من ذلك خيرا لأنفسهم . ويتذمّر « برنار دي فونتادور » من هذا « الصنّف من النّاس المخادعين الماكرين » الذين يترصدون العشاق الحقيقيين . وما من سبب لخبثهم سوى الحسد . ولذلك فإنه على المحبوبة ألّا تستسلم للخوف منهم . ويقول « برناردي فونتادور » في أحد أناشيده : « إنني أتوسل إلى الحسناء التي أودعت فيها ثقتي بأن تتذكر هذا الأمر وألا تدع الشائعات تغيّرها أو تنحرف بها ، حتّى أقتل أعدائي غيرة» (أغاني الحب ، 3، الأبيات 30–32، 40؛ 5، البيت 23. البيت 27) . ولما كان الوشاة لا يعيرون سمعة النّساء وشرفهنّ اهتماما ، فإنّهم كائنات حقيرة على المحبوب ألّا يأمن جانبهم . يقول «قي دوسال» (Gui d'Ussel) : « عليك يا حبيبتي أن تنزليني منزلا أرفع بكثير من هؤلاء المتسوّلين المخادعين » (أ. جانروا ، 1934، ص 112) .

أغراض الحب العذري

سنهتم الآن ببيان أغراض الحبّ العذري . فما هي ــ بادىء ذي بدء ــ أسباب الحبّ ؟ يرى « ابن حزم » أنّ الحبّ الحسي يمكن أن ينشأ عنه حبّ حقيقي . وإذا وافقَتِ العلاقاتُ الجنسيةُ أخلاقَ النّفس تولّدت المحبةُ « إذ الأعضاء الحساسة مسالك إلى النّفوس ومؤديات نحوها » والحبّ عند « ابن حزم » يمكن أن يقع بالوصف دون المعاينة « فإنّ للحكايات ونعت المحاسن ووصف الأخبار تأثيرا في النفس ظاهرا» (الطوق، ص 53). ومن التّروبادور شغف «جوفري رودل» حبّا بكونتيسة طرابلس دون أن يراها بل بناء على شهادة حجيج انطاكية الذين وصفوا له محاسنها . وقد كتب فيها قصائد ، واشترك في حملة صليبية فركب البحر لرؤيتها . يقول :

« يا حبّ الأرض النّائية
جسدي كلّه مشتاق إليك

وليس لي من عزاء
إلّاك
بسحر الحبّ العذب
في الرّوض تحت السجف
مع التي طال شوقي إليها » (التروبادور ص 52).

وبعدُ ، فإنّ نشوء الحبّ حسب «ابن حزم» تصحبه دوما أعراض . وهذه العلامات التي تُظهِر الحبَّ وتكشف سرَّ العاشق مختلفة ، منها إدمان النّظر للمحبوب، والإنصات لحديثه إذا حدّث ، والدّنوّ منه. وكثير من حركات العاشق ذات دلالة : منها تعمّده لمس يد المحبوب عند المحادثة ، وشرب فضلة ما أبقى المحبوب في الإناء . ومن علامات الحبّ كثرة الغمز الخفيّ والتّلميح بالكلام ، ومراعاة المحبّ لمحبوبه ، وحفظه لكل ما يقع منه . ومنها بهت يقع وروعة تبدو على المحبّ عند رؤية من يحبّ فجأة ، ومنها اضطراب يبدو على المحبّ عند سماع اسم محبوبه (الطوّق ص ص 30–39). وقد أحسن « سيركامون» وصف ما يعتريه من اضطراب أمام حبيبته إذ قال :

« من فرط عَجَبِي حين أكون معها
عجزي عن البوح بمرادي
وعند انصرافي عنها يخيّل إليّ
أني فقدت كل إحساس وكل معرفة» (التروبادور ص 58) .

ومن علامات الحب الحياء . ويتحدّث «ابن حزم» عن الحياء المركب الذي يكون في المحبّ فيحول بينه وبين التّعريض بما يجد للمحبوب . «فيتطاول الأمر وتتراخى المدة ويبلى جديد المودّة ويحدث السلّو» (الطوق ص ص 276–277). وهذا «سير كامون» لا يجرؤ على قول شيء لحبيبته . ولرّبما باح بحبّه بعد أن يسلخ في العشق حولين أو ثلاثة (التروبادور، ص 59). ومن علامات الحبّ البكاء، وهو دليل على حرارة الحبّ وصدقه. وقد قال «ابن حزم» في هذا شعرا :

« دليل الأسى نار على القلب تلفح ودمع على الخدّين يحمي ويسفح
إذا كتم المشغوف سرّ دموعه فإنّ دموع العين تبدي وتفضح
إذا ما جُفُونُ العين سالت شؤونها ففي القلب داء للغرام مبرّح»
(الطوق ص 47)

وعند التروبادور تكون الدموع سببا في شحوب العاشق ونحوله . ويقول « برناردي فونتادور» : «من ماء عيوني الجاري أكتب أكثر من مائة سلام أبعث بها إلى أحسن النساء

وأجملهن» . وليس لـ «أرنودي ماروي» (Arnaut de Mareuil) من حديث إلا عن دموعه (أ. جانروا، 1934، ج II، ص 103) .

ويكون عذاب المحبّ أيضا معنويا . وهو يقاسي كل أنواع الهموم . ويتحدث «ابن حزم» عن الجزع الشديد الذي يغلب على المحبّ وتنفسه الصعداء (الطوق ص 44–45). ويقول « برناردي فونتادور» إنّ الحبّ جعله متأرجحا كالسفينة الشراعيّة فوق الموج ، ويصرّح بأنه أكثر عذابا من «تريستان»:

« لي من الحبّ آلام مبرّحة
لم يذق مثلها « تريستان » العاشق
الذي قاسى ألوانا من العذاب
من جرّاء « إيزوت » الشقراء » (التروبادور، ص 94).

إن المرأة تبدو موصولة وصلا مكينا بكلّ ما يجعل الطبيعة جميلة . وقد قام « ابن حزم » وهو الأندلسي الذي عاش خلال القرن 11/5 بوضع المحبّين في إطار ريفي. وهاك الأبيات التي نظمها في هذا المعنى من «الرّوضيات»[8] :

«نعمنا على نَور من الروض زاهر سقته الغوادي فهو يثني ويحمد
كأنّ الحيا والمزن والرّوض عاطرا دموع وأجفان وخدّ مورّدُ
(الطوق ص 43)

وعند التروبادور يكاد يكون الحديث عن الإطار المزهر أمرا إجباريّا في شعر الحبّ. ومهما أوغلنا في القدم فإنّنا واجدون هذا المشهد جليّا منذ أغنيتي «قيوم IX» العذريّتين أو أغانيه الثلاثة ، كما نجده في قصائد «رودل» وقصائد «باير دوفيرني» (Peire d'Auvergne) . ويبدو التناسب عند «برنار دي فونتادور» على شيء من القوة . ففترة عيد الفصح الجميلة تحمل في نظره : « مع الخضرة اليانعة، أوراقا وأزهارا مختلفة الألوان؛ مما يجعل العشاق كلّهم مرحين يغنون» (أغاني الحب، 17، الأبيات 1–8).ويحمل شهرا أفريل وماي معهما السّعادة . فالشاعر وإنْ كان بعيدا عن محبوبته يجد السّلوى في غناء الطيور وانبعاث الطبيعة اللّذين يثيران فيه رمزيا الأمل والفرحة . ودونك ما يقول « برنار دي فونتادور» :

«حين يطلع العشب اليانع والأوراق، وتبرعم الزّهرة على الغصن، ويرفع العندليب صوته الثاقب النّمير ويبدأ نشيده ، أفرح به وأفرح بالزّهرة وأفرح بنفسي وأفرح فوق كل هذا بحبيبتي» (م. ن ، 20، الأبيات 1–8) .

(8) عن هذا الموضوع الشعري انظر H. Pérès 1953، ص ص. 161–166

ولبعض موضوعات الحبّ العذري طابع بالغ التّميّز ، وقد جلعنا أهمّها قوّة الحبّ . ويذكرها « ابن حزم » بقوله :

«إعلم أنّ للحبّ حكما في الناس ماضيا وسلطانا قاضيا وأمرا لا يخالف وحدا لا يُعصى ومُلْكا لا يتعدّى وطاعة لا تصرف ونفاذا لا يردّ» (الطوق، ص 69).

ويعبّر التروبادور عن سلطان الحب بشحوب الجبين والتأمل الحزين والارتجاف الذي يشبه ارتجاف الورقة في مهب الرّياح . فهذا «برناردي فونتادور» وقد بلغت منه الحيرة مبلغا جعله في أوج الشتاء على أتم استعداد للمسير في ريح الشمال لا يرتدي غير قميص ؛ فما الصقيع عنده إلا أزاهير ربيعية (أ. جانروا ، 1934، ج II ،ص 104) .

وينبغي أن نربط بين الشّوق وقوة الحب . فلكل عاشق شوق إلى اللقاء. وعندما يمتزج شخصان في حبّ واحد تنشأ بينهما مراسلة . وقد أفرد «ابن حزم» للمراسلة فصلا قصيرا يقول فيه :

«إن لوصول الكتاب إلى المحبوب وعلم المحب أنه قد وقع بيده ورآه لذةً يجدها المحبّ عجيبة تقوم مقام الرؤية » (الطوق، ص ص 84–87) .

ويقدم لنا « ابن حزم » دليلا على قوة الحبّ فيروي لنا قصة المحب الذي قَطَعَ يده بسكين له فسال الدم واستمدّ منه وكتب به الكتاب أجمع (م.ن. ص ص 86–87). ويمجدّ التروبادور الشّوق الطويل الذي يروم تخليد الحلم السرمدي برؤية الحبيبة أو امتلاكها . وقد كتب « جوفري رودل » سير بلاي الذي لم يكن له من غاية غير ملاقاة كونتيسة طرابلس أبياتا يقول فيها :

« أسيرُ منحني الظهر من رغبتي
دون أن تكون الأغاني وأزهار الزعرور
بالنّسبة إليّ شيئا أكثر من ثلج الشتاء
وظنّي — بل يقيني — أن الله
سيريني حبّي البعيد » (التّروبادور ص 53) .

وكتمان السرّ من القواعد الأساسية في الحبّ العذري . وقد التزم به « ابن حزم » التزاما تاما إذ هو لم يذكر أسماء الأشخاص الذين عرفهم وذكر مغامراتهم. ويرى « ابن حزم » أنّ على المحب أن يكتم سره وأن يتجنب أن يفتضح أمره بالشحوب أو النظرات أو الدموع . وكثيرا ما يكون سبب الكتمان في المجتمع القرطبي توقّي المحبّ على نفسه من إظهار سرّه لجلالة

قدر المحبوب(الطوق، ص ص 96، 97). وربّما كان إفشاء السر سببا في قطع الحبّ . ويتلو بابَ طي السرّ بابُ الإذاعة . وفي مثل هذه الحالة يغلب الحبُّ الحياءَ فلا يملك الإنسان حينئذ لنفسه صرفا ولا عدلا . ويرى « ابن حزم » أنّ ذلك داعية نفار المحبوب وضعف في السياسة من قِبَل المحبّ (الطوق ص 102–103) . والكتمان عند التروبادور أولى العلامات الدالة على احترام المحبوبة : إذ ينبغي على العاشق ــ إكراما لها ــ أن يمحضها وجدا مكتوما يسكن حناياه . والكتمان ضروري للحبّ خصوصا إذا كان قائما على خيانة زوجية . وعلى العاشق أن يخفي اضطرابه إذا ما راقبه أحد . فلا حياة للحبّ العذري إلا في الخفاء . وفي إذاعة الحبّ، على غرار ما يفعل الوشاة ، قَتْلٌ له : ولذلك كانت ثرثرة هؤلاء النّمّامين المخادعين خطرة . ومهما يكن من أمر فإنّ على العاشق المثالي أن يحفظ سِرّ حبّه حفظا مطلقا . ويصرّح « برناردي فونتادور » لحبيبته بقوله : « إنّني لن أفشي أبدا سرّ حُبِّنا. كوني على يقين من ذلك » (أغاني الحب ، 16، البيتان 47–48) .

و«ابن حزم» ــ شأنه شأن شعراء القرن 11/5 الأندلسيين ــ يبقي طيّ الكتمان اسم المحبوبة في الأخبار التي يرصّع بها «طوق الحمامة». ويتجلى الكتمان في استعمال ضمير المذكر للدلالة على المحبوبة؛ وهي تدعي حينا «سيدي» وحينا «مولاي» (الطوق، ص ص 119–121، 132–133، 156–157، 170–171 ، 248–249، 258–259) . ويكثر في الحب الأوكسيتاني استعمال العلامة (Le Senhal) وهي التّكنية عن الحبيبة باسم مستعار . ويطلق «قيوم IX» أحيانا على حبيبته اسم «ميدون» (midons) أي «سيّدي»، ويشير إليها بعلامة مذكرة: Bon Vezi(9) . ويستعمل «برنار دي فونتادور» كنية «حسن الطلعة» (Beau-Voir) ليخفي اسم زوجة كونت تولوز «ريمون V» (Raymond V) (أغاني الحب، 9، البيت 41) . أمّا «ريمبو دي فاكيراس» (Raimbaut de Vaqueyras) الذي نظم أناشيد جميلة في البروفونس في نهاية القرن 12/6 فإنّه باح بحبّه العاتي للفارس الجميل (Beau Cavalier) (التّروبادور ص 179) .

إنّ موضوع الخضوع للحبيبة جزء لا يتجزأ من الحبّ العذري . ويعود هذا الخضوع الغرامي في الغزل العربي إلى الجاهلية . ولما كان «ابن حزم» وريثا للسنّة [الأدبية] المشرقيّة فإنّه يعظم من شأن قوة الحبّ الخارقة فيقول :

«ليس التذلّل في الهوى يستنكر فالحبّ فيه يخضع المستكبر»
(الطوق ص ص 106–107) .

---

(9) Les chansons de Guillaume IX, ed. A. Janroy, III, 9 CIX, 21 - 27

ويستطرد «ابن حزم» قائلا :

«ولا يقولن قائل إنّ صبر المحبّ على ذلّة المحبوب دناءة في النفس . فهذا خطأ . وليس سببّه وجفاؤه ممّا يُعيَّر به الإنسان ولا يبقى ذكره على الأحقاب» (الطوق ص 109) .

وليس ثمة في نظر « ابن حزم » مقام ألذّ وأشهى من مقام المحبّ المتذلّل الخاضع المتضرّع الذي يسأل حبيبه المغفرة . ويقول « ابن حزم» :

« ولقد وطئت بساط الخلفاء ، وشاهدت محاضر الملوك فما رأيت هيبة تعدل هيبة مُحِبٍّ لمحبوبه . ورأيت تحكّم الوزراء وانبساط مدبّري الدّول فما رأيت أشدّ تبجّحا ولا أعظم سرورا بما هو فيه من محبّ أيقن أنّ قلب محبوبه عنده . وحضرت مقام المعتذرين بين أيدي السّلاطين فما رأيت أذلّ من موقف محبّ هيمان بين يدي محبوب غضبان قد غمره السّخط وغلب عليه الجفاء» (م.ن.ص ص 182–183) .

ويعلن التّروبادور أنهم خدم المحبوبة . وشأن المحبّ الكامل أن يستجيب لرغبة المحبوبة وأن يجتنب كل ما قد يغيظها . ويقول «قيوم IX» : « لا يتيقّننّ امرؤ من النّجاح في الحبّ إن لم يخضع لإرادته في كل أمر» (أغاني قيوم VII, IX ، ص 26). ويحتفل «برنار دي فونتادور» بما يستوجب الحب من إذلال فيقول : «مطلبي على الدّوام شرفُها وسعادتها، وسأكون تابعها وعاشقها وقنها» (أغاني الحب ، 9، البيتان 22–23) . ولا ينبجس الفرح الغامر الذي ينشأ عن الحب (وهو joy أو joi) إلّا أثناء هذا الاصطبار المديد(10) . فـ «برناردي فونتادور» مترع فرحًا . و «قي دوسال» ينشد حبيبته قائلا :

« لا مثيل لك
في منحي الفّرحة (التروبادور ص 152)

ويترتب عن الخضوع الوفاءُ . يقول « ابن حزم» :

« إن الوفاء على المحبّ أوجب منه على المحبوب ، وشرطه له ألزم ، لأنّ المحبّ هو البادي باللّصوق ... والمحبوب إنما هو مجلوب إليه ومقصود نحوه» (الطّوق ، ص ص 206–207) .

---

(10) يعرّف أ. جانروا الفرحة joy بكونها « ضربا من الحماس الصّوفي سببه وموضوعه معا المرأة المحبوبة والحب نفسه ».

والتّروبادور مسكونون بصورة الحبيبة . يقول « أوك دي سان سيرك » :

« ماذا سأفعل ؟ فما لي، بعيدا عنك
في هذي الدنيا، شيء يغريني أو يستهويني
ماذا سأفعل ؟ أنا الذي تغدو عنده أحزانا
كل الأفراح التي ليس منك مأتاها...» (التروبادور ص 217) .

ويؤكد « با يردي روجيي » (Peire de Rogiers) لحبيبته تعلّقه بها ، فهو لا يعرف أن « يحبّ إلّا ها » يقول :

« ما بيدي البتّة ألّا أراك
ورغم أنّ النوّى مازال عندك يقصيني
فليس لقلبي ولا للتي منك مناص » (م. ن. ص. 89)

ويخلص «برناردي فونتادور» في خدمة حبيبته وإن كانت صلفة أو صعّرت له خدّها (أغاني الحب ، 15 ، الأبيات 33ـــ36 ، 44 ، البيت 13).

ويخصّ « ابن حزم » حوادث الحب بأبواب كثيرة . وهذه النواحي السلبية ناجمة عن تعريفه للحبّ.وعلى هذا النحو فإنّ :

« نفس الذي لا يحبّ من يحبّه مكتنفة الجهات ببعض الأعراض السّاترة والحجب المحيطة بها من الطبائع الأرضيّة ، فلم تحسّ بالجزء الذي كان متّصلا بها قبل حلولها حيث هي ، ولو تخلّصت لاستويا في الاتصال والمحبّة » (الطوق. ص.ص. 20ـــ21).

وأكثر أحداث الحب وقوعا العذل والهجر والبين والعذر والسلوّ. وقلّة الصبر آفة إذ المحب لم يجد بعد من المحبوب ما يدلّ على حبّه . ويؤكّد التروبادور أن الحبّ عذاب، وهموم الحبّ لا عدّ لها ولا حصر . وتصّاعد شكاة « قي دوسال » على هذا النحو :

« إني على استعداد لأنظم مزيدا من الأناشيد
ولكنْ مضنّني القول المعاد
بأني أشكو الحبّ وأتنهّد
فقد دأب النّاس كلهم على مثل هذا الصنيع» (التروبادور، ص. 158).

واليأس، بما هو إحدى آفات الحب ، يتضمن حسب « ابن حزم » مراتب مختلفة . وفي أغاني التروبادور تعلو نغمة كئيبة ، ففي قصائد هؤلاء الشعراء الغنائيين مراوحة بين الأمل واليأس. ويشكو « ريمبو دي فاكيراس » أمره قائلا :

« لا شأن عندي للشتاء والرّبيع
ولا للسّماء الصافية وأوراق الأشجار
فنجاحي يبدو نكدا
وغدا فرحي كلّه ألما
وهموما صارت لذّاتي
وها أملي أضحى يؤسني » (م.ن. ص 177).

ومن مخاطر الحبّ المتواترة عند « ابن حزم » الضّنى . وهو يظهر حين يمنع المحبّ من إعلان حبّه لسبب من الأسباب،أو يكون ممنوع الوصل إمّا بِبَيْنٍ أو بهجر (الطوق،ص ص. 264–271) . ويعرض الملل للتروبادور . ف «برنار دي فونتادور» يطلق العنان لخيبة أمله بعد انتظار طويل لم يجده فتيلا (أغاني الحب، 30، البيتان 11–12، والبيتان 39–40، 38، البيتان 29–30) .

ومهما يكن حظّ العاشق من عزّة النّفس ونبلها ضئيلا فإنّ ما تبديه له المحبوبة من قساوة يلجئه إلى السلو ، وهو موقف من المواقف التي صوّرها كتاب « طوق الحمامة » ونجد بادىء ذي بدء السّلو الطبيعي وهو المسمّى بالنّسيان يخلو به القلب ، ثم نجد السلوّ التطبّعي الذي فيه قهر للنفس . فالمرء الذي يظهر التّجلد وفي قلبه أشد لدغا من وخز الأشفى ، ليس بناسٍ لكنّه ذاكر و« متجرّع مرارات الصّبر » كما يقول « ابن حزم » لا (الطّوق، ص ص. 274—275). ومن أسباب السلو عند « ابن حزم » الغدر ، وهو يدينه إن كان من فعل المحبوب، يقول :

«ولا يلام السالي عنه على أيّ وجه كان ناسيا أو متصبّرا» (.م.ن. ص ص. 290–291). ويشعر التروبادور بألم ممضّ إزاء خيانة محبوباتهم لهم. يقول «بايردي بوسينياك» (Peire de Boussignac):

« إني يئست من النّساء
ولن أثق فيهن البتّة
فبمقدار ما كنت أحترمهن
لن يكون لهنّ عندي سوى الاحتقار » (التروبادور ، ص.97).

ونعثر عند « ابن حزم » وعند التروبادور معا على غرض مشترك هو الموت ، وقد خصّه « ابن حزم » بباب مشحون أمثلة استمدّها من قصص حبّ معاصريه. والموت هو المصيبة الطبيعية التي تضع حدّا للحبّ . وقد يقع لمن كان مفرط الرقّة أن يبلغ به فرحه بعودة المحبوب حدّ الموت. وفي بعض الأحيان يستهلك الهوى المحبّ ، ويسبّب له الضنى ثم الموت.

وقد جعل التروبادور المحبين يعيشون قسرا في ضرب من الموت البطيء الناشيء عن قسوة المحبوبة . ويصف « برناردي فونتادور » حاله على هذا النحو :

« لقد قتلتني وبالموت أجيبها
وبما أنّها لا تستبقيني فإنّني سأذهب
شقيّا إلى المنفى في مكان لا أدريه (أغاني الحب ، 31 ، البيت 53 ، البيتان 59—60).

الإيديولوجية الغرامية عند « ابن حزم » والتروبادور : مثالية وواقعيّة.

إنّ متابعتنا للبحث لا تحول دوننا ودون التأكيد على بيان هذا الخليط المكوّن من المثالية والواقعية الذي يعدّ أسّ الإيديولوجية الغراميّة عند « ابن حزم » والإيديولوجية الغراميّة عند التروبادور.

ينتهي « طوق الحمامة » ببابين أخلاقيين : أحدهما في قبح المعصية والآخر في فضل التعفف (ص ص.316—409). ولا تفسير لهذا المؤلَّف إلا من خلال تأثير المذهب الظاهري. فلم يفتأ « ابن حزم » يذكّر بأنّها من الأحسن فيما يتعلّق بالعقيدة والشّرع أن يقف المرء عند نصّ القرآن والحديث . ومع ذلك فإنّ مفهوم الحبّ الذي يظهر طوال « طوق الحمامة » مستمدّ من السنة المشرقية. ففي الشرق الإسلامي يقترن الحب الرّوحاني بصفة « العذري » التي تحدّرت من اسم قبيلة بدويّة من شمال الجزيرة العربية ظهر بين أفرادها عدد من العشّاق المدلّهين ومنذ القرن 8/2 ظهر ضرب من الأدب القصصي موضوعه الأزواج المتلازمون : قيس وليلى ، وكثير وعزة ، وخصوصا جميل وبثينة العفيفة.

ومنذ عقود ثلاثة شبه المستعرب الإسباني الكبير « إميليو ثارثيا ڤومز » (Emilio García Gómez) هذا الحب بكونه « تخليدا مَرَضيّا للرّغبة»[11]. ولقد كان رائد نظرية الحبّ الأفلاطوني فقيها ظاهريا هو « ابن داود »[12] أصيل إصفهان المتوفّى سنة 294هـ/907 م. وقد ترك لنا رأس المدرسة هذا الذي قاد الحركة الظاهرية البغدادية بعد وفاة أبيه « داود بن علي » كتاب مختارات عذرية، هو « كتاب الزهرة » الذي ترجم تارة [بمعنى الرّيحان] (Le livre de la fleur) وتارة [بمعنى الكوكب] (Le livre de Venus)[13]. وفيه حوالي خمسين

---

(11) انظر El Collar de la Paloma, Madrid، 1952 ص . 41 .

(12) انظر مقال «ابن داود» في دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الجديدة ، ج III ص ص . 707—708 ل ج.كل. فادي .

(13) عن « كتاب الزّهرة » انظر L. Massignon ، 1975 ص.ص. 388 — 390 ، والصفحات الجميلة ل . ج. كل .فادي عن ابن داود والحبّ العذري في l'esprit courtois en Orient ص.ص. 301 — 305.

بابا كل واحد منها تصوير لحكمة مسجوعة ، وفي الأبواب العشرة الأولى عرض لضرب من آداب الحبّ ، وفي الأبواب العشرة الموالية ذكر للنتائج المختلفة للهوى والمصائب التي تنزل بالمحبّين : كالنّمامين والوشاة والفراق؛ وفي الأبواب العشرة التي تلي تعدادٌ لما يعرض للهوى من عراقيل من قبيل السلوّ والهجران وما يترتّب عنه من نتائج. وفي القسم الأخير يتحدّث المؤلف عن القيم الأخلاقية ، وعلى وجه التّخصيص عن إخفاء الحب وموته . وتتمثلُ طرافة « كتاب الزّهرة » في سعي صاحبه إلى استخراج أخلاقية عذرية مستقلّة عن التصوّف ومرتكزة على الحديث النّبوي : « من عشق فعفّ فكتم حبّه فمات مات شهيدا ». وعلى هذا النّحو تظهر « أول منهجة للحبّ الأفلاطوني » حسب رأي « لوي ماسينيون » (Louis Massignon).

وفوق ذلك فإنّ « كتاب الزّهرة » هو المصدر المكتوب الوحيد لـ (طوق الحمامة)، إذ أنّ « ابن حزم » قد اطلع على كتاب « ابن داود » كما تدلّ على ذلك فقرة من فقرات « طوق الحمامة » (ص ص.14ـــ15)[14]. ولمّا كان « ابن حزم » متشيّعا للمذهب الظّاهري مدفوعا بمثاليّته ، فقد آثر الحب الطّاهر . وفي الصفحات الأخيرة من « طوق الحمامة » يذكر « ابن حزم » فضائل التّعفف ويدعو إلى كبح جماح الحبّ حتى لا ينحطّ. على أنّه لا يرفض الحبّ الحسّي؛ وتشهد على ذلك فقر عديدة من « الطوق ». وقد أفرد في رسالته عن الحب مكانا مهما للحديث عن المفاتن الجسديّة والعلاقات الجنسيّة. ويرى « ابن حزم » أن الحواسّ طريق إلى الرّوح، ولا تتوطّد الصلات المتينة إلّا عبرها . أمّا الواقعيّة فهي طليقة العنان في النوادر التي توشي « طوق الحمامة » وهي نوادر يغلب عليها الفحش واللغة المباشرة والإيحاض.

ونلاحظ في حب التروبادور العذري أيضا تعايش السموّ والحسّيّة. وقد رأى « روني نيلّي » وهو من هو في معرفة الحب الأوكسياتني أنّ التروبادور رَوْحَنُوا الشهوة بتحرير الحساسيّة من الحسيّة . ورغم سعيهم إلى جعل حبّهم مثاليّا، فإنّ هذا لم يمنعهم من التعلّق بشخص المحبوبة الأرضي ومن تمجيد الشهوة الجسديّة ؛ إنّهم يطلبون ما وسمه « جوفري رودل» بـ«حاضر الحب». وعلى الرغم من أنّ لغة التّروبادور تحفل بالقوالب الجاهزة فإنّ الواقعيّة تنبجس في الجزئيات النّابضة بالحياة وتتخذ في بعض الأحيان صورا فجّة. ويرى « روني نيلّي » أنّه ليس بالإمكان أن ننعت الحب البروفنسالي كما يتجلّى في شكله الغنائي

(14) ذكر «ابن حزم» في «طوق الحمامة» أنّ ابن داود قد استشهد بقول أفلاطون، دون أن ينسبه اليه، الذي يذكر فيه أنّ الأرواح أكر مقسومة .

بأنّه أفلاطوني محض ولا بأنه واقعيّ صراح . وقد نزع بعض الدارسين على سبيل المثال إلى التّأكيد على قصائد « قيوم IX » الفاحشة التي تستمدّ مواضيعها — في واقع الأمر — من فولكلور قديم مُعادٍ للمرأة. والحال أنّ الشعراء أنفسهم قد احتفلوا بالحبّ الأكثر طهارة وبالشهوة الأكثر « طبيعيّة » بالمراوحة بينهما أو بالجمع بينهما ، دون أن ينكروا إيمانهم بالحبّ الرّقيق (fin amors) الذي ينجرّ عنه تزهّد يطهّر النّفس (ر. نيلّي، 1963 ، ص. 135، ص ص. 174—175).

وجوه الاتّفاق ووجوه الاختلاف في نظرية الحب العذري عند « ابن حزم » والتروبادور.

في نظرية الحب العذري نقاط يلتقي فيها ابن حزم والتروبادور. وسنتولّى—في إيجاز — استخراج أوجه الاتفاق الأساسية بينهم . لقد اعتنى « ابن حزم » والتروبادور بالشعر الغنائي الغرامي. ويلفت هذا العالم الأندلسي الانتباه إلى أنّ المحبّ إنّما يشرع في إبداء حبّه لمحبوبه بإنشاد الشعر ، وتلك طريقة تحبّبه إلى نفس المحبوب . وقد بيّن « برناردي فونتادور » من خلال حياته وآثاره ما للشعر والحبّ مجتمعين من قوّة عجيبة. إنّ شعر التّروبادور مبشّر بالحب.ونجد أحيانا أن الأغنية، عوض أن تنفتح بذكر جمال الرّبيع ، تبدأ بالتّذكير بما للمحبوبة من ملكة ملهمة ، وتنغلق غالبا بأبيات شعرية مهداة إلى الحبيبة . وقد كان الصدق في الهوى يملأ على «ابن حزم» والتّروبادور معا أقطار النفس. وقد توصّلوا إلى مفهوم للحبّ واحد.

ولئن تعذّرت البرهنة على وجود صلات قربى بين مفهوم الحبّ عند « ابن حزم » وعند التروبادور، فلا يمكن أن نغفل عمّا بينهما من أوجه شبه غريبة في المواضيع، وخصوصا في ظهور الشخصيات الثّانوية ، واستعمال ضمير المذكّر للمرأة تشريفا لها(15).

أمّا أوجه الاختلاف بين هذين المفهومين للحبّ فإنّها تبرز في نواح جزئية . ولا بدّ في رأينا من لفت النّظر إلى طرافة « طوق الحمامة »·ف « ابن حزم » — وهو يشرّح الحب — لا يزكّي البتة منهجا بعينه . وهو — على وجه اليقين — يميل إلى الظّرف والوفاء بل وحتى التعفّف. إلّا أنّه يترك الخيار في ذلك كلّه للمحبّين. إنّ الحب مغامرة تولد في كل تجربة. والأمر على نقيض ذلك في أوكسيتانيا حيث قُنّن موقف المحبّ من حبيبته تقنينا دقيقا. فغدا حظ النزوات ضئيلا في هذا الحب الذي يتمثل في التقيّد بوصفة عذرية تقيّدا كليّا. أمّا أضرب

---

(15) تساءل R. Nelli (1964 p. 97) عما إذا كانت عادة تذكير المحبوب التي استقرّت منذ القرن 11/5 [في الغرب] مجرد نقل للعادة العربية الموجودة منذ القرن 10/4 في الأندلس.

التّعبير بل وحتى أضرب العواطف فإنّها لا تكاد تختلف من تروبادور إلى آخر. وينبعث أحيانا من الشعر الأوكسيتاني شيء من الرّتابة .

ومن خلال النوادر التي يوردها « ابن حزم » فإنّ الحبّ يقع عن طريق الحواس ، وعلى الخصوص العيون . وقد أفرد في «الطّوق» باب لمن أحبّ من نظرة واحدة (الطوق ص ص.56ـــ59). وللجمال في هذا الحبّ منزلة أساسيّة. على أنّ هذا الحبّ إنما يشتدّ عوده بالتعوّد والوفاء وتجربة الحواس. فكأنّ المرأة إذا غدت محبوبة تحلّت بكل الفضائل . وليس من الضروري أن يكون المحبوب امرأة حرّة . فأريستوقراطيو الأندلس وخاصّةً قرطبة الذين يحدّثنا « ابن حزم » عن قصص حبّهم حديثا مفصّلا ، كثيرا ما يهيمون حبّا بإماء. وإنّنا لنذكر الدّور الذي اضطلعت به الجارية في الشعر الأندلسي . (هـ. بيريس، 1953، ص. 400 ، ص.430). أمّا المرأة في الحبّ العذري الأوكسيتاني فمتخيَّرة، ذلك أن المرأة التي يهبها العاشق حبّه لا بدّ أن تتحلّى بما يجعلها جديرة بذلك الحب. ويعبر « في دوسال » عن رأيه فيقول :

« ولكنني اخترتك أنت يا سيدتي
لأنّك رفيعة المنزلة » (التروبادور، ص. 151).

إنّ حبّ التروبادور مختلف اختلافا كليّا عن حبّ القدامى المحتوم الذي يشلّ الإرادة . إنّه عبادة حقيقيّة للمرأة ، وطقوس الولاء والغزل محدّدة تحديدا صارما . ولدينا بعض المعلومات عن الوضع الاجتماعي لكثير من التّروبادور. فنحن نعرف أنّ بعضهم كان ينتمي إلى طبقة الفرسان الدنيا أو طبقة التّجار. وقد كان « أرنودي ماروي » كاتب دواوين ، وبعض التروبادور متحدّرون من أسر متواضعة جدا شأن « قيرودي بورناي » و« أوك دي سان سيرك » ، أمّا « برناردي فونتادور » فقد كان أبوه خبّاز قَصْرِ فونتادور. ولا بدّ لنا من أن نشير إلى أن شعر هؤلاء الذين عاشوا في ظل الأسياد قد وجّه إلى زوجات هؤلاء الأسياد الشّرعيات . إنّ محبوبة التروبادور يجب أن تكون بالضّرورة متزوّجة(16). والأمر عند « ابن حزم » على نقيض ذلك ، فلا محلّ عنده للخيانة الزّوجيّة . وهو يدينها إدانة صارمة لأنّ الحبّ في هذه الحالة يفقد طهارته . وقد رأينا أنّ الحبّ في نظر « ابن حزم » التقاء بين روحين فُرِّق بينهما في عهد سالف ، وهيئتا للتّلاقي من جديد . ففي الزنا « من إباحة الحريم وإفساد

(16) ويجب أيضا أن يكون العاشق ـــ التروبادور ـــ أعزب مبدئيا إذ هو يمثل « الشباب ». وقد لخّص André le chapelain في كتابه De Amore حوالي سنة 1185/581 تفكير التروبادور الغرامي كله . فهو يحتقر الزّواج لأنّه لم يكن غالبا ـــ في الأوساط الأرستوقراطيّة في عصره ـــ مسبوقا بغزل حرّ صادق يمكن أن يوجد بين الزّوجين وحدة عاطفية .

النّسل والتّفريق بين الأزواج... ما لا يهون على ذي عقل أو من له أقلّ خلاق » (الطّوق ، ص. 365).

وكذلك الشّأن في الغيرة . فنحن واجدون لها [عند « ابن حزم » والتروبادور] مفهومين متقابلين تقابلا كليّا . وقد كتب « ابن حزم » إنّ « غيرة شديدة رُكّبَت فيّ » . وهو يرى أنّ الغيرة إنّما هي علامة الحبّ (م. ن. ص. 325) ، وهي متأتّية من الشعور البالغ الحدّة بالشرف عند العرب(17) . أمّا التروبادور فيرون أن الغيرة تنشّط الحب . ولا يرى التروبادور ضيرا في أن يتغزّل غيره بحبيبته : « إن كان لحبيبتي عشاق سواي ، فلن أواجههما لذلك بتجهّم » (في أ. جانروا ، 1934 ، ج II، ص 112).

والموت حبّا موضوع فرعي آخر يقوم شاهدا على التّقابل بين « ابن حزم » والتّروبادور . فكثيرا ما أشرف « ابن حزم » على الموت ، إذ أنّه عاش في عهد اضطرابات « الفتنة » زمن « ملوك الطّوائف ». لذلك يتحدّث عن الموت حديثا مأسويّا : فالحب مرتبط بالموت . أمّا الشعراء الأوكسيتانيون فالموت عندهم رَوْسَم أدبي . فالمحبّ يموت من كثرة التنهّد والألم . ولمّا كانت المحبوبة تبعث بقسوتها اليأس في قلب المحبّ ، فإنّه يتألّم حتّى الموت . وقد عبّر « برناردي فونتادور » في أغانيه مرارا عن هذه الفكرة الغرامية ، كما في قوله : « إنّ قلبي يتفطّر حزنا ، حتّى إنّي أشرف على الموت وأكاد أقضي نحبي » (أغاني الحب 42 ، البيتان 76ـ77). ولولا مساعدة محبوبته لهلك . أمّا الموت الحقيقي فلا ورود له البتّة . وينبغي على المحبّ أن يقبل الانتظار ، وأن يظل ناذرا نفسه لمحبوبته وإن كانت لا تحبّه أو أنّه راودته فكرة هجرانها.

وفي مسألة العلاقة بين الدّين والحبّ تقابل أيضا بين « ابن حزم » والتّروبادور . إذ أنّ « ابن حزم » لا يني يعزّز مفهومه للحبّ أثناء حديثه عن طبيعة الحبّ وتطوّره بالآية القرآنية « هو الذي خلقكم من نفس واحدة » ، ويضيف بأنّ اللّه « جعل علّة السكون [الذي يجده آدم في حواء] أنّها [أي حواء] منه [أي من آدم]» (الطوق ص. 17). ويقطع النّظر عن تفسيرات الحبّ والنّوادر الماجنة ، يضم « طوق الحمامة » بيانات عن الشرع الإسلامي . فالإسلام حاضر في الكتاب حضورا دائما. ويكشف فيه « ابن حزم » عن حرصه على البقاء في حيّز الإسلام وذلك بالاستشهاد بالقرآن والحديث النّبويّ. فالمحبّ يتّخذ المؤمن

---

(17) يعرّف ابن حزم في «كتاب الأخلاق والسّير» الغيرة بأنّها «خلق فاضل متركّب من النّجدة والعدل. لأنّ من عدل كره أن يتعدّى إلى حرمة غيره، وأن يتعدّى غيره إلى حرمته» .

مثالا . والوفاء للمحبوب يحسن الطبع ويسمو به . والتّذلل في الحبّ يكرّم صاحبه كما يكرّم التذلّل للّه العبد الورع . وعلى نقيض ذلك ، فإنّ حبّ التّروبادور منفصل عن الأخلاق المسيحية ، وله أخلاقية خاصة به . فالحبّ البروفنسالي يصوّر على أنّه « وسيلة » لتحقيق كلّ الكمالات الرّوحية . ولقد أدركت الكنيسة ذلك إدراكا جيّدا وأبدت منذ البدء اعتراضها على الشعر العذري وأدانت الأخلاق الشهوانية التي يروّجها . ورغم ما قام به الشاعر التروبادور « مونتانهاقول » (Montanhagol) من بسط لميول أخلاقية النزعة في أغانيه الممتدّة من سنة 1233/631 إلى سنة 1258/655 ، ورغم ما ذكره فيها من تمجيد للحبّ الأفلاطوني فإنّ الكنيسة واصلت نبذها للأدب العذري وفي سنة 1277/676 حرّم أسقف باريس « أرناست تومبيي » (Ernest Tompier) رسميا على رؤوس الملأ هذا الأدب لما يتصف به من هرطقة.

إنّ الملاحظات القليلة التي أوردناها في هذه الدراسة المتواضعة لم تكن تهدف إلّا إلى تقديم حصيلة لأبحاثنا والتّمهيد لمعرفةالصّلات بين « ابن حزم » والحبّ العذري [في الغرب] معرفة أكمل./

قائمة المراجع

DAVENSON (H.) *Les troubadours,* Paris, 1961.

DAJEANNE (J.M.L.) éd., *Poésies complètes du troubadour Marcabru,* Toulouse, 1909.

IBN ḤAZM, *Le Collier du Pigeon, ou de l'amour et des amants,* texte arabe et traduction de L. Bercher, Alger, 1949.

JEANROY (A.) éd., *Les Chansons de Guillaume IX, duc d'Aquitaine,* Paris, 1913.

JEANROY (A.) éd., *Les Poésies de Cercamon,* Paris, 1922.

JEANROY (A.) éd., *Les Chansons de Jaufré Rudel,* Paris, 1924.

JEANROY (A.) *Les origines de la poésie lyrique en France au Moyen-Age,* 3e éd., Paris, 1927.

JEANROY (A.) *La poésie lyrique des troubadours,* Paris, 1934, 2 t.

LAVAUD (R.) «Les poésies d'A. Daniel», in *Annales du Midi,* XXI, 1910.

LAZAR (M.) ., *Amour courtois et Fin'amors,* Thèse de Doctorat, Paris, 1964; édité sous le titre *Bernard de Ventadour: Chansons d'amour,* Paris, 1966.

«Le Génie d'Or et l'homme méditerranéen» in *Cahiers du Sud,* Marseille, 1934.

LE GENTIL (P.) *Le virelai et le villancio. Le problème des origines arabes,* Paris, 1954.

LEMAY (R.) *«A propos de l'origine arabe de l'art des troubadours»,* in *Annales E.S.C.*, septembre-octobre 1966, pp. 990-1011.

LÉVI-PROVENÇAL (E.) *Islam d'Occident,* Paris, 1948.

LÉVI-PROVENÇAL (E.), «En relisant le Collier de la Colombe», in *Al-Andalus*, vol. XV, fasc. 2, Madrid 1950. «L'Islam et l'Occident», in *Cahiers du Sud*, Marseille, 1947.

MASSIGNON (L.) , *La Passion de Hallâj,* rééd., Paris, 1975.

NELLI (R.) *L'érotique des troubadours,* Toulouse, 1963.

NYKL (A.R.), *Hispano-Arabic poetry and its relations with the old provençal Troubadours,* Baltimore, 1946.

PÉRÈS (H.) *La poésie andalouse en arabe classique au XIe siècle,* 2e éd., Paris, 1953.

RIBÉMONT-DESSAIGNES (G.) *Les Troubadours,* Fribourg. 1946.

VADET (J.Cl.) *L'esprit courtois en Orient dans les cinq premiers siècles de l'Hégire,* Paris, 1968.

IBN ḤAZM Y EL AMOR CORTESANO

El propòsito de este estudio consiste en establecer una especie de paralelismo entre el erotismo que emana de «Ṭawq al-Ḥamāma» de Ibn Ḥazm y el que se desprende de la poesía de los trovadores. Dicho parlalelismo atañe el punto de vista de la concepción del amor, las cualidades físicas y morales de la amada y de los personajes secundarios que desempeñan un papel preeminente en las relaciones amorosas.

A continuación el autor toca el tema del amor cortesano: las causas del amor, sus síntomas, sus efectos, su fuerza... así como la presencia de la naturaleza en esta literatura, la discreción con que los amantes encubren sus sentimientos, y las vicisitudes del amor.

Esta lectura comparativa lleva al autor a considerar la ideología amorosa de Ibn Ḥazm y de los trovadores una mezcla de idealismo y realismo.

Por último, el autor expone las concordancias y discrepancias entre Ibn Ḥazm y los trovadores en cuanto a la teoría del amor cortesano. El punto común radica en la importancia atribuida, en este amor, a la poesía y a los personajes secundarios. Pero el amor expresado por Ibn Ḥazm resulta màs original que el expresado por los trovadores siendo éste, más bien un amor estereotipado. Además, Ibn Hazm se rebela rigurosamente contra el amor adùltero , el cual constituye la regla seguida por los trovadores; de ahì que aquél se sitúe en el seno del Islam, mientras que el amor cantado por éstos está desviado de la moral cristiana a tal punto que su literatura fue condenada por la Iglesia a causa de su carácter herético.

IBN ḤAZM ET L'AMOUR COURTOIS

Le but que se propose cette étude consiste à établir une sorte de parallélisme entre l'érotique d'Ibn Ḥazm telle qu'elle se dégage de «Ṭawq al-Ḥamāma», et celle des troubadours, sur le plan de la conception de l'amour, des qualités physiques et morales de la femme aimée et des personnages secondaires qui jouent un rôle prépondérant dans la relation amoureuse.

L'auteur évoque ensuite la thématique de l'amour courtois: les causes de l'amour, ses signes, ses effets, sa force... ainsi que la présence de la nature dans cette littérature, la discrétion dont les amants entourent leurs sentiments et les vicissitudes de l'amour.

Cette lecture comparative amène l'auteur à voir dans l'idéologie amoureuse chez Ibn Ḥazm et chez les troubadours un mélange d'idéalisme et de réalisme.

Enfin, l'auteur démontre les concordances et les divergences de la théorie de l'amour courtois entre Ibn Ḥazm et les troubadours. Les points communs consistent en l'importance accordée, dans cet amour, à la poésie et aux personnages secondaires. Or, de l'autre côté, l'amour exprimé par Ibn Ḥazm parait plus original que celui des troubadours qui, lui, est plutôt stéréotypé. De même, Ibn Ḥazm se dresse rigoureusement contre l'amour-adultère qui constitue la règle chez les troubadours. Ainsi, Ibn Ḥazm se situe au sein de l'Islam, alors que l'amour des troubadours est détaché de la morale

chrétienne, à tel point que leur littérature à été condamnée par l'Eglise pour son caractère hérétique.

IBN ḤAZM AND COURTLY LOVE

This study aims at establishing a Kind of parallel between Ibn Ḥazm's erotic love as it is described in **Ṭawq al-Ḥamâma,** and the Troubadour's conception of love, of the physical and moral qualities of the beloved woman and of the secondary figures that play a dominant role in the relation ship between the lovers.

The author studies the theme of Courtly love from the point of view of its causes, its manifestations, its effects and its strength. He also studies the theme of nature in this literature, the secrecy with which lovers surround their feelings, and the vicissitudes of love.

In view of this comparative reading the author argues that the ideology of love as conceived by Ibn Ḥazm and the troubadours is a mixture of idealism and realism.

Finally, the author points out the agreements and divergences that exist between the two theories of love ; Ibn Ḥazm's and the troubadour's.

The agreement bears on the importance given to Poetry and secondary Figures in this love. However, the love expressed by Ibn Ḥazm seems more original than the troubadour's which is more stereo typed. Also, Ibn Ḥazm strongly opposes adulturous love. The latter is the rule among the troubadours. Ibn Ḥazm thus remains within the bounds of Islamic Religion, whereas the troubadour's love is detached from christian morality, so much so that their literature was condemned by the church for its heretical character.